رسالة في معنى قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ إلى قوله: ﴿هَوْنًا﴾ ومعنى الهوينا تأليف: عبد الواحد الدكالي

دراسة وتحقيق

د. خالد حسين إسماعيل
جامعة مصراتة/ كلية التربية قسم الدراسات الإسلامية
khaled.esmail1010@gmail.com

استلمت الورقة بتاريخ 2024/07./12، وقبلت بتاريخ 2024/07/25، ونشرت بتاريخ 2024/08/01

الكلمات المفتاحية:
هونا، الهوينا، الإسراع، الترفق، المشي.

الملخص

يهدف البحث إلى بيان جهود علماء ليبيا في خدمة العلوم الشرعية من خلال دراسة رسالة مختصرة تناول فيها الشيخ عبد الواحد الدكالي حكم الإسراع في المشي والتأني فيه، مستدلا بأن معنى﴿هَوْنًا﴾ في قوله تعالى:﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾، الهوينا والترفق وتقارب الخطوات والمشي على الهيبة، وأن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يمشي الهوينا ويترفق في مشيته إن لم يماشه أحد، وأورد الأدلة على ذلك؛ للرد على من حاججة في ذلك، وقسم الباحث العمل إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، جاء في المقدمة مشكلة البحث، والهدف منه، وأهميته، ومخطط البحث، وجاء في المبحث الأول التعريف بالمؤلف وبرسالته، ووصف المخطوط المعتمد في التحقيق، والعمل الذي جرى عليه التحقيق، أما المبحث الثاني فقد خصص لتحقيق المخطوط وفق قواعد تحقيق المخطوطات، واشتملت الخاتمة على أهم النتائج والتوصيات، وسلك الباحث في تحقيق هذه الرسالة المنهج العلمي المتبع في أصول التحقيق والبحث العلمي.

المقدمة

الحمد لله رب العلمين، الرحمن الرحيم، أنعم علينا بالإسلام، ومنَّ علينا بالقرآن، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما، أما بعد؛ فقد هيأ الله لهذه الأمة علماء سخَّروا أوقاتهم خدمة لكتاب الله العزيز وسنة نبيه- صلى الله عليه وسلم- فكان من بين هؤلاء الأعلام، عَلَم من أعلام ليبيا، الشيخ عبد الواحد الدكالي- رحمه الله- وهو عالم جليل أكمل مسيرة العلماء المتقدمين بالاهتمام بالقرآن والسنة وعلومها وبيان معانيهما، وكان له جهد طيب في ذلك.

ولمَّا تمّ الإعلان عن المؤتمر العلمي الدولي (**جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشريعة**)، تحت شعار: (**حفظ موروثنا العلمي حفظ هويتنا**) كانت لي رغبة في المشاركة في هذا المؤتمر لبيان ما لدى علماء ليبيا من جهد مبارك في خدمة علوم الشريعة، فأقدمت- متوكلا على الله- على المشاركة في هذا المؤتمر بدراسة وتحقيق رسالة للشيخ عبد الواحد الدكالي، في معنى قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾[1] ، وبيان معنى الهوينا، وهي في طياتها تبين حكم الإسراع في المشي والتأني فيه، وما يقوم به الباحث يعتبر من باب خدمة المكتبة المالكية، وإضافة مادة علمية ولو كانت قليلة فيما يتعلق بهذا المؤلف رحمه الله تعالى.

وهذا العمل يندرج ضمن المحور الثالث: (جهود علماء ليبيا في خدمة القرآن الكريم وعلومه).

مشكلة البحث: جاء هذا البحث ليجيب عن عدة أسئلة، من أبرزها:

ما مدى الجهد الذي بذله المؤلف في رسالته؟ وعلام اعتمد في رده على من تذاكر معهم في بيان حكم الإسراع في المشي والتأني فيه؟ وما مصادره في ذلك؟ وما الأسلوب الذي نهجه المؤلف في رسالته؟ وما الثمرات التي يمكن أن تستنبط من هذه الرسالة؟.

أهداف البحث: تتجلى أهداف البحث في التعريف بعلماء ليبيا، وإبراز جهودهم في خدمة العلوم الشرعية، وعناية البُحَّاث وطلبة العلم بمؤلفات علماء ليبيا وإخراجها وتحقيقها تحقيقا علميا، بالإضافة إلى أن عدم الوقوف على جميع مؤلفات هذا المؤلف يدفع إلى المزيد من بذل الجهد للتعريف به والكشف عن مؤلفاته.

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في أن صاحب هذه الرسالة علم من أعلام ليبيا، كما يظهر هذا البحث جهود الليبيين ومكانتهم العلمية ومؤلفاتهم.

مخطط البحث: قسم الباحث عمله إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة:

(1) سورة الفرقان، الآية63.

المقدمة- تناولت مشـــكلة البحث، والهدف منه، وأهميته، ومخطط البحث.

المبحث الأول- الدراسة، يتضمن مطلبين:

المطلب الأول- التعريف بالمؤلف، وبرسالته.

المطلب الثاني- وصـف المخطوط، والعمل الذي جرى عليه التحقيق.

المبحث الثاني- التحقيق، يتضمن تحقيق المخطوط وفق أصول المنهج العلمي.

الخاتمة- اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

والتوفيق من الله

المبحث الأول- الدراسة

المطلب الأول- التعريف بالمؤلف وبرسالته

الفرع الأول- التعريف بالمؤلِّف.

أولا- اسمه ونسبه

هو: عبد الواحد بن محمد بن أبي محمد عبد الله الدكالي[1] المســـلاتي، المغربي، يكنى أبو محمد، والدكالي نســـبة إلى (دَكَّالة) وهي منطقة بالمغرب، جاء في معجم البلدان: وهي بلد بالمغرب يسكنه البربر[2]، ولعل هذا سبب نسبته بالمغربي، أما المسلاتي فلكونه نزيل مسلاته[3]، حيث اتخذها مقرا له[4]، وإذا أطلق اســم الدكالي فإنه يقصـــد به الشـــيخ عبد الواحد[5]، قال الشـــيخ عبد الســـلام الأســـمر (ت981هـ) في ذكر نسبه: هو عبد الواحد الدكالي المغربي القرشي نسبا، المسلاتي دارا ومنشأ، المالكي مذهبا[6].

أما نسـبة الطرابلسـي والغذامسـي فلم يقف الباحث على من ذكر هذه النسـبة- فيما وقف عليه من مصـادر- إلا ما ذكره المؤلف في خاتمة رسـالته حيث قال: **"جمعها وكتبها الفقير إلى الله عبد الواحد الدكالي بن محمد بن محمد المغربي الطرابلسي الغذامسي، عفا الله عنهم".**

ولعل سـبب نسـبة الطرابلسـي هو نزوله طرابلس[7]، ومما يدل على ذلك ما ذكره الشـيخ عبد السـلام الأسـمر: "وكانت فتواه تعجب علماء طرابلس وتونس أشـــد الإعجاب...، ولم يوجد بطرابلس مثله قط"[8]، أما الغذامســـي فلم يشـــر إليها. والله أعلم.

ثانيا- ولادته ونشأته

ولد بمصـر ونشـأ وتعلم على شـيوخها، ومن بينهم والده مَحمد بن أحمد بن أبي محمد عبد الله الدكالي[9] ، ولم تذكر المصـــادر التي ترجمت للمؤلف ســـنة ولادته، إلا أن الشـــيخ كان من أقران الشـــيخ أحمد زروق الذي كان مولده سنة (846هـ)، وتوفي سنة (899هـ)، والشيخ عبد السلام الأسـمر الذي كان مولده سـنة (880هـــ)، وتوفي سـنة (981هـــ)، فتكون ولادته ما يقارب سنة (840هـــ)[10] ، ومنهم من ذكر أنه ولد سنة (800هـــ)، بناء على أنه توفي سـنة (930هـــ) وعاش (130) سـنة، وكل ذلك من باب التخمين فقط[11] .

وكان الشـيخ الدكالي عالما فاضـلا ورعا تقيا صـالحا غزير العلم، منكبا على العلم، مخلصا لطلابه، كان لا يهمه إلا نشر العلم والمعرفة بين طلابه[12] ، قال الشـــيخ عبد الســـلام

(1) أهل مسلاته ينطقون اسم الشيخ: (الدوكالي) بدال بعدها واو. ينظر: أبو فـارس، عبـد الواحـد الـدكـالي (حيـاتـه وبعض آثـاره)، ص72، ابن يونس، من تاريخ الثقافة في ليبيا، ص150 وما بعدها.

(2) ينظر: 459/2.

(3) ينظر: ابن يونس، من تاريخ الثقافة في ليبيا، ص150.

(4) قال الدكتور حمزة أبو فارس: "ولا نعرف ســـبب اختيار الدكالي لمسلاتة". عبد الواحد الدكالي (حياته وبعض آثاره)، ص76.

(5) ينظر: شعيب، (عبد الواحد الدكالي المسلاتي- حياته- نشأته- نسبته) 1360/2.

(6) ينظر: الوصية الكبرى، ص71.

(7) ينظر: شعيب، (عبد الواحد الدكالي المسلاتي- حياته- نشأته- نسبته) 1372/2.

(8) ينظر: الوصية الكبرى، ص71-72.

(9) ينظر: أبو فـارس، عبـد الواحـد الـدكـالي (حيـاتـه وبعض آثـاره)، ص73، ابن يونس، من تاريخ الثقافة في ليبيا، ص315.

(10) ينظر: شـــعيب، (عبد الواحد الدكالي المســـلاتي- حياته- نشـــأته- نسبته) 1360/2.

(11) ينظر: ابن يونس، من تاريخ الثقافة في ليبيا، ص154.

(12) ينظر: شـــعيب، (عبد الواحد الدكالي المســـلاتي- حياته- نشـــأته- نسبته) 1368/2.

الأسمر: "وكان علماء مصر يعظمونه تعظيما طيبا وشهدوا له بالعلم والإجازة، وكان يفتي في الأربعة مذاهب...، كان في زمانه من كبار الشأن، ومن الرجال الأعيان، أصل الأسرار والبرهان علما وعملا وأدبا واتباعا لأصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وكان أوحد زمانه في الورع والأحوال السنية، وعلم النحو والمعقول، والفقه والحديث، والتصوف"[1].

ثالثا- شيوخه وتلاميذه وأقرانه

أ- شيوخه:

1- والده مَحمد[2] بن أحمد بن أبي محمد عبد الله الدكالي، وتلقى عنه العلم بمصر[3].

2- الشيخ أحمد عبد الله الرشيد بو تليس، وهو من القيروان، وأقام في بني وليد نحو سبع سنين، ثم رجع إلى القيروان إلى أن مات عن عمر يناهز الخمسين عاما[4].

3- الشيخ فتح الله أبو راس الهذلي، مفتي القيروان، أخذ عنه التصوف بمسلاته، وتوفي في برنو من بلاد السودان[5].

4- الشيخ محمد بن عمران أبو راوي الفحل أخذ عنه التصوف، توفي سنة (931هـ)، ودفن في سوسة [6].

ب- تلاميذه:

تتلمذ عليه كثير من الطلبة، فكان الشيخ يدرس بزاوية الدكالي بمسلاتة، فكان عنده سبعون طالبا يدرسون عليه العلوم والأحكام، وتخرج من هذه الزاوية علماء، ومن أبرز تلاميذه:

1- الشيخ عبد السلام الأسمر الذي كان يعظم شيخه تعظيما كبيرا، فلا يذكر اسم شيخه إلا مقرونا بقوله (إمامنا، وشيخنا، وأستاذنا)[7] ، ولم يفارقه إلى أن مات، فأخذ عنه مختصر خليل، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومقدمة الإمام الأشعري، والتصوف[8].

2- الشيخ محمد بن علي بن عبد الرحمن التاجوري، من آل الطشاني[9].

ج- أقرانه:

من العلماء الذين عاصروا الشيخ عبد الواحد الشيخ أحمد زروق (ت899هـ)، فقد ذكر الشيخ عبد السلام الأسمر أنهما كانا صديقين ومتقاربين في العمر، حيث إنهما قدما من المغرب وكانا رفيقين في الأزهر، وكان الشيخ زروق يأتي من مصراتة إلى مسلاتة حيث الشيخ الدكالي، وكان الشيخ الدكالي محبا للشيخ زروق وكان مراعيا له، وتذاكر معه كثيرا من العلوم[10].

د- مؤلفاته:

لم تذكر المصادر- التي وقف عليها الباحث- مؤلفات الشيخ عبد الواحد الدكالي[11]، إلا ما جاء في الوصية من أنه ألف كتابا في مناقب الشيخ فتح الله أبوراس[12]، ورسالة وقف عليها الباحث بعنوان (حزب لعبد الواحد الدكالي) قام بتحقيقها الدكتور حمزة أبو فارس، إلا أنه قال: "ولا أستطيع الجزم بأن هذا الحزب من تأليف الشيخ الدكالي، ولكن يغلب على ظني أنه له، كان يداوم على قراءته فحفظه منه بعض الناس وتناقلوه ونسخه بعضهم محرفا بعض التحريف، والدليل على ذلك كثرة التحريفات والتصحيفات فيه بل والكلمات الساقطة؛ إذ لو كتبه الدكالي نفسه أو نقل من خطه لم يكن بهذه الصورة، والله أعلم"[13].

رابعا- موقفه من المناقِشين

من خلال رد الشيخ عبد الواحد على من تذاكر معهم في حكم الإسراع في المشي والتأني فيه نلاحظ أنه- رحمه الله- أظهر احترامه وتقديره لهم، مع انتقاء أحسن الألفاظ، والدعاء لهم بالهداية والانقياد للحق، وحسن الظن بهم، دون تنقص أو تجريح، فكان حافظا لقدرهم، متأدبا معهم، وهذا دأب العلماء.

خامسا- وفاته

ذكرت بعض المصادر أن الشيخ عبد الواحد الدكالي توفي في رجب سنة (930هـ)[14]، وفي بعضها أنه عاش في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، إلا أنها لم تبين لنا تاريخ وفاته[15]، ولعل اعتمادهم كان على ما ذكره الشيخ عبد السلام الأسمر من أنه عاش مائة وثلاثين عاما، وهو من أهل القرن التاسع وعاصر أهل القرن العاشر، وتوفي في أواسط شهر رمضان، ودفن بزعفران ببلد مسلاته[16].

الفرع الثاني- التعريف بالرسالة

أولا- تحقيق اسم الرسالة وصحة نسبتها إلى المؤلف

لم تذكر لنا كتب التراجم مؤلفات هذا العالم الجليل الذي امتاز بغزارة علمه وورعه وصلاحه، وقد صرح المؤلف بنسبة الرسالة لنفسه جمعا وكتابة إلا أنه لم يصرح سنة كتابة هذه الرسالة، قال في خاتمة رسالته: **"جمعها وكتبها الفقير إلى الله عبد الواحد الدكالي بن محمد بن محمد المغربي الطرابلسي الغذامسي، عفا الله عنهم. آمين"**.

أما عنوان هذه الرسالة، فجاء على غلاف المخطوط: رسالة في معنى قوله تعالى:﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ إلى قوله: ﴿هَوْنًا﴾ ومعنى الهوينا، على التمام والحمد لله على كل حال.

(1) الوصية الكبرى، ص71-72.
(2) ينظر: ابن يونس، من تاريخ الثقافة في ليبيا، ص153.
(3) المصدر السابق، ص154.
(4) ينظر: أبو فارس، عبد الواحد الدكالي (حياته وبعض آثاره)ص74.
(5) المصدر السابق، ص74.
(6) ينظر: أبو فارس، عبد الواحد الدكالي (حياته وبعض آثاره) ص74، 1364/2، ابن يونس، من تاريخ الثقافة في ليبيا، ص154.
(7) ينظر: الوصية الكبرى، ص68.
(8) ينظر: شعيب، (عبد الواحد الدكالي المسلاتي- حياته- نشأته- نسبته) 1361/2.
(9) ينظر: ابن يونس، من تاريخ الثقافة في ليبيا، ص155.
(10) ينظر: الوصية الكبرى، ص72.
(11) يقول الدكتور حمزة أبو فارس: ولا شك أن رجلا عالما مثل عبد الواحد الدكالي أن لا يخلف مؤلفات في علوم مختلفة، وأغلب الظن أنها ضاعت أثناء الظروف الصعبة التي مرت بها مسلاتة أثناء الحروب المختلفة وخروج المواطنين من منازلهم، أو أن هذه المخطوطات لا تزال عند من لا يعرف قيمتها. ينظر: عبد الواحد الدكالي (حياته وبعض آثاره)، ص78.
(12) ينظر: الأسمر، الوصية الكبرى ، ص76.
(13) أبو فارس، عبد الواحد الدكالي (حياته وبعض آثاره)، ص79.
(14) ينظر: ابن يونس، من تاريخ الثقافة في ليبيا، ص157-158.
(15) ينظر: شعيب، (عبد الواحد الدكالي المسلاتي حياته- نشأته- نسبته) 1361/2.
(16) ينظر: الوصية الكبرى، ص62، 63.

ثانيا- محتوى الرسالة

تناول المؤلف في رسالته حكم الإسراع في المشي والتأني فيه، ويرجع سبب ذلك أنه تذاكر مع غيره حكم الإسراع في المشي، فذكروا أن الإسراع في المشي مطلوب، وخالفهم في هذا القول، وذكر أن التأني وعدم الإسراع والمشي برفق هو المطلوب، مستدلا بأن معنى ﴿هَوْنًا﴾ في قوله تعالى:﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾[1]، الهوينا والترفق وتقارب الخطوات والمشي على الهيبة، وأن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان يمشي الهوينا ويترفق في مشيته إن لم يماشه أحد إلا أنهم لم يقتنعوا بما أورده من أدلة، وأشار إلى عدم معرفته بالسبب الذي أدى إلى عدم قبولهم قوله مع أنه كاف في الاستدلال كما ذكر.

ثالثا- مصادره

اعتمد المؤلف على عدة مصادر في رسالته لإقامة الدليل على أن المطلوب في المشي التأني والترفق فيه، وأن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يمشي الهوينا، فمن مصادره: الهمزية لمحمد بن سعيد البوصيري، والدر المنظم لمحمد بن أحمد اللخمي، وشرح الحكم العطائية لمحمد بن قاسم جسوس.

المطلب الثاني- وصف المخطوط، والعمل الذي جرى عليه التحقيق

الفرع الأول- وصف المخطوط المعتمد في التحقيق

اعتمد الباحث في دراسته على نسخة واحدة من دار الكتب المصرية، تحمل رقم (870)، وتقع في (ثلاث) لوحات، وهي في (ست) صفحات، متوسط عدد الأسطر في كل صفحة تسعة عشر(19) سطرا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر تسع (9) كلمات، خطها واضح ومقروء، عليها تعليقات وتصحيحات، والظاهر أنها كتبت بخط المؤلف، حيث جاء في آخر النسخة: **"جمعها وكتبها الفقير إلى الله عبد الواحد الدكالي بن محمد بن محمد المغربي الطرابلسي الغذامسي، عفا الله عنهم. آمين".**

الفرع الثاني- العمل الذي جرى عليه التحقيق.

قدمت للتحقيق بقسم دراسي موجز ذكرت فيه التعريف بالمؤلف، وتحقيق اسم الرسالة وصحة نسبتها إلى المؤلف، ومحتوى الرسالة، ومصادره التي اعتمد المؤلف عليها، ووصف النسخة المعتمدة في التحقيق، واتبعت في تحقيق الرسالة الخطوات الآتية:

1- الاعتماد على نسخة واحدة وهي التي توفرت لدى الباحث بعد البحث في مكتبات العالم.
2- عزو الآيات القرآنية إلى مواطنها في المصحف الشريف، وحصرها بين هلالين مزهرين ﴿ ﴾ ، وضبطها بالشكل، والاعتماد في ذلك على رواية قالون عن نافع.
3- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها المعتمدة، ووضعها بين قوسين هلاليين مزدوجين((..))
4- توثيق النصوص من الكتب التي اعتمد المؤلف عليها.
5- ترجمَة الأعلام الواردة أسماؤهم في النص المحقق.
6- بيان الألفاظ التي تحتاج إلى توضيح.
7- التعليق مع الاختصار في بعض المواضع متى لزم الأمر ذلك.
8- خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

(1) سورة الفرقان، الآية63.

صور المخطوط

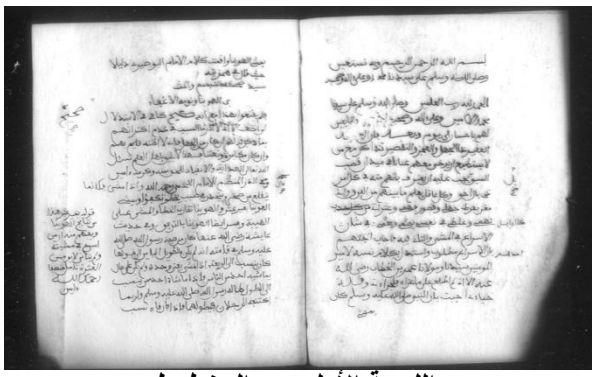

اللوحة الأولى من المخطوط

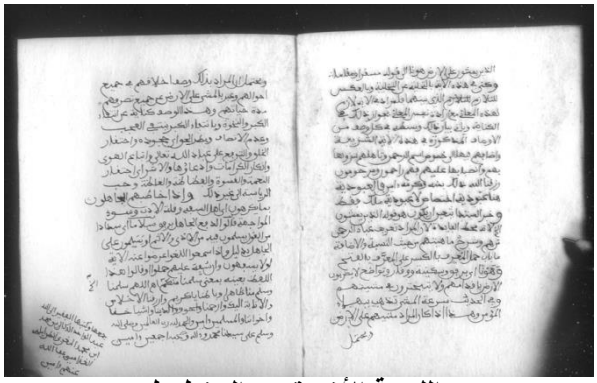

اللوحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم [الدين][1]، وبعد؛ فإن العبد الفقير ذا الجهل والعجز والتقصير، تذاكر مع من لا يستطيع أن يرخى معهم عنانا في ميدان قَصَب السَّبْق[2]، بل يجب عليه أن يعترف بأنهم منه في كل أمر ذي بال أحق، وكل عاقل يعلم ما بينهم من الفرق، وإني مقر بفرط جهلي، وقصور فهمي، وعثراتي كالوابل تَهْمي[3]وغلطي في نفسي يصمي ويعمي، في شأن الإسراع في المشي والتأني فيه.

فأجاب أحدهم: بأن الإسراع مطلوب، واستدل بكلام نسبه لأمير المؤمنين سيدنا ومولانا عمر بن الخطاب[4]- رضي الله عنه- إلا أني لم أطلع على ما عزاه، فلجرأتي وقلة حيائي، أجبت بأن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يمشي الهوينا، وأقمت كلام الإمام البوصيري[5]، دليلا، حيث قال في همزيته:

سَيِّدٌ ضِحْكُهُ التَّبَسُّمُ وَالْمَشـ * يُ الهُوَيْنَا وَنَومُهُ الإِغْفَاءُ[6]

فلم يقنعوا بهذا مع أنه صحيح كافي في الاستدلال لو أنصف، إلا أني لا أدر ما السبب في عدم اكتراثهم بما ذكرته لهم، إن كان من الجهل فإني لا أظنه بهم، وإن كان مكابرة وتعنتا، فهذا لا يليق بأهل العلم، نسأل الله- تعالى- الهداية والانقياد للحق بمنه وكرمه. آمين.

قال في الدُّر المُنَظَّم للإمام اللخمي[7]- رحمه الله-:

وإذا مشى فكأنما يتقلع من صخر وينحدر في صبب، يخطو تكفؤا ويمشي الهوينا بغير عثر، والهوينا: تقارب الخطا، والمشي على الهيبة، وفسر أيضا الهوينا بالترفق، وفي حديث عائشة[8]- رضي الله عنها- (كان من صفة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في قامته أنه لم يكن بالطويل البائن) إلى قولها: (كان ينسب إلى الرَّبْعَة)، إذا مشى، يعني

(1) ساقط من الأصل، وهي زيادة يقتضيها المقام.
(2) من يسبق إلى الشيء فيضمه دون غيره، وأصله أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبة فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع، ثم كثر حتى أطلق على المشمر. ينظر: الفيومي، المصباح المنير، مادة: (قصب).
(3) تسيل. ينظر: ابن منظور، (لسان العرب)، مادة: (همي).
(4) هو: عمر بن الخطاب العدوي، ثاني الخلفاء الراشدين، من أول المهاجرين، وشهد بدرا وبيعة الرضوان، ت23هـ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب473، ابن العماد، شذرات الذهب177/1.
(5) هو: محمد بن سعيد البوصيري، ولد في بوصير بالصعيد، وهو من أصل مغربي، ت695هـ. برع في النظم، ومن شعره: البردة، والهمزية.

ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة570/1، ابن العماد، شذرات الذهب753/6.
(6) الهمزية في مدح خير البرية، ص114.
(7) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين العَزَفي، فقيه، ناظم، تولى الإمارة بسَبْتة، ت677هـ، بسبتة، من مؤلفاته: تكملة الدر المنظم في مولد النبي المعظم، من تأليف أبيه أحمد، فأكمله بعد وفاته. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام344/15، 413، كحالة، معجم المؤلفين99/3.
(8) هي: عائشة بنت أبي بكر الصّديق، - رضي الله عنها – زوجة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ت57هـ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب918، ابن العماد، شذرات الذهب258/1.

وحده ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس، فإذا ماشاه أحد ممن ينسب إلى الطول طاله رسول الله- صلى الله عليه

وسلم- ولربما اكتنفه الرجلان فيطولهما، فإذا فارقاه نسب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- للربعة- [1]، أي يرجع لقامته الأصلية الخلقة- ويقول- صلى الله عليه وسلم-: ((نُسب الخير كله إلى الرَّبْعَةِ))[2] .

فصريح هذا الحديث أنه- صلى الله عليه وسلم- رَبْع القامة[3]، أي حين لا يماشيه أحد، فيبقى على حالته الأصلية وأما إذا ماشاه وقرب منه وحاذاه فيطول- صلى الله عليه وسلم- عليه، فهي معجزة له- صلى الله عليه وسلم- لأن قوله- صلى الله عليه وسلم-: ((نُسب الخير كله للرَّبْعَةِ))؛ لأن خير الأمور أوساطها، وأما إذا ماشاه لا يصح أن يكون لأحد العلو على رسول الله؛لأنه أطول الناس معنًى ويطولهم حسًّا إذا راموا[4] العلو عليه، ألا ترى أنه لا يطأطئ رأسه إذا دخل بيتا وكان فم باب البيت قصيرا فيعلو فم باب البيت ويرتفع رفعة له- صلى الله[عليه][5] وسلم- لأنه عزيز بالله فأكرمه بأن لا يطأطئ رأسه حتى يكون كهيئة الراكع إكراما له- صلى الله عليه وسلم- لأنها لا تكون منه إلا له سبحانه.

وكذلك كان يمشي الهوينا ويترفق في مشيته إن لم يماشه أحد، فإن ماشاه سبقه مع ترفقه وتأنيه، والناس يجهدون أنفسهم ولا يلحقونه، فهذه معجزة من الله- تعالى- لنبيه - صلى الله عليه وسلم- حتى لا يسبقه أحد فيفتخر عليه؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم- أعلى الناس في كل حال والخلق دونه في كل حال، فمن الذي يفاخر المصطفى- صلى الله عليه وسلم-؟! الجواب: لا، ثم تلوت عليهم قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾[6] فلم يقبلوا مني بأن معنى هَونا الهُوينا، وطلبوا مني الإتيان بمعنى ذلك، فذكرتُ لهم بأن الشيخ جسوس[7] شارح حكم ابن عطاء، استوفى الكلام على ذلك، فلم يقنعهم قولي، فلما رأيت منهم عدم الانقياد والمحاججة التي لا تجدي نفعا، وعدتهم بأن أوقفهم على النص على معنى هونا، وقد تكلم - رحمه الله- على ذلك بكلام عجيب، وها أنا- بفضل الله- أذكر ما تمس الحاجة إليه:

قال صاحب الحِكَم[8] - رحمه الله تعالى-: "اخْرُج عن أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك"[9].

قال الشارح: فتكلم على الأوصاف المذمومة؛ لأنها الحجاب الذي حجب به العبد؛ لأن الأوصاف البشرية مذمومة، فتكلم عليها وشفا فيها الكلام، إلى أن قال: وأما المتصفون بأوصاف العبودية وهي الأوصاف المحمودة وهم عباد التخصيص، وقد وصفهم الله– تعالى- في آية كريمة بصفات جليلة عظيمة، وأعد لهم على ذلك خيرات جسيمة، فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾[10] إلى قوله: ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[11] وكنّى في هذه الآية بالتحلية عن التخلية وبالعكس للتلازم الذي بينهما، فالمراد في الآية لازم لهذه المعاني مع إرادة تفسير المعاني بجواز ذلك في الكناية، ويأتي بيان ذلك وبسطه في كل وصف من الأوصاف المذكورة في هذه الآية الشريفة، وأضافهم فيها إلى خصوص اسم الرحمن وتأهلهم لنزولها بهم وانصبابها عليهم، فهم راحمون ومرحومون. رزقنا الله ذلك بمنه وكرمه. آمين.

فالعبودية هنا عبودية اختصاص لا عبودية ملك فقط، وخبر المبتدأ يتعين أن يكون هو قوله: ﴿الذِينَ يَمْشُونَ﴾ إلخ؛ لأنه محط الفائدة؛ لأن المراد تعريف عباد الرحمن من هم؟ وشرح ماهيتهم من حيث النسبة والإضافة، [من][12] باب حمل المعرِّف بالكسر على المعرَّف بالفتح.

و﴿هَوْنًا﴾ أي برفق وسكينة ووقار وتواضع، لا يضربون الأرض بأقدامهم ولا يتبخترون في مشيتهم، وفي الحديث ((سُرْعَةُ المَشْيِ تُذْهِبُ بِبَهَاءِ الْمُؤْمِنِ))[13] ، وهذا إذا كان المراد مشيهم على الأرض، ويحتمل أن المراد بذلك وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبر بالمشي على الأرض عن جميع تصرفهم مدة حياتهم، وهذا الوصف كناية عن انتفاء الكبر والنخوة، وبانتفاء الكبر ينتفي العجب وعدم الإنصاف، وبطر الحق- أي جحوده واحتقار الخلق والترفع على عباد الله- تعالى- واتباع الهوى، وإنكار الكرامات وادعاؤها، والأشر- أي احتقار النعمة- والقسوة، والفظاظة، والغلظة، وحب الرياسة، إلى غير ذلك.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾[14] بما يكرهون، أي أهل السفه وقلة الأدب وسوء المواجهة، ﴿قَالُوا﴾ لدفع الجاهل- برفق-: ﴿سَلاَمًا﴾، أي سدادا من القول يَسْلَمُون فيه من الأذى والإثم، أو يُسلِّمُون على الجاهل بدليل: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[15] الآية، أو لا يسفهون، وإن سُفِه عليهم حملوا أو قالوا هذا اللفظ بعينه، بمعنى: سلمنا منكم، إلخ[16]. انتهى.

---

(1) لم أقف عليه بلفظه، وما ذكره اللخمي قريب من هذا المعنى. ينظر: الدر المنظم، ل:105.

(2) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة298/1.

(3) المعتدل بين الطويل والقصير. ينظر: ابن الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص343.

(4) رام الشيء، طلبه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة:(روم).

(5) ساقط من الأصل، وهي زيادة يقتضيها المقام.

(6) سورة الفرقان، الآية63.

(7) هو: محمد بن قاسم جسوس، فقيه مالكي، من أهل فاس بالمغرب، من مؤلفاته: شرح مختصر خليل، وشرح الحكم العطائية، ت1182هـ. ينظر: مخلوف، شجرة النور الزكية، ص355.

(8) هو: أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري، مالكي، نشأ بمدينة الإسكندرية، من مؤلفاته: الحكم العطائية، ولطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن، ت709هـ. ينظر: مخلوف، شجرة النور الزكية، ص204، ابن العماد، شذرات الذهب36/8.

(9) الحكم العطائية مع شرح ابن عباد النفري الرندي، ص168.

(10) سورة الفرقان، الآية63.

(11) سورة الفرقان، الآية76.

(12) في الأصل [ما] ولعل المثبت هو الصواب.

(13) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء290/10، آداب المشي، بلفظ: ((سرعة المشي تذهب بهاء المؤمنين))، والمتقي الهندي في كنز العمال، ص205، رقم 41620، بلفظ: ((سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن)).

(14) سورة الفرقان، الآية63.

(15) سورة القصص، الآية55.

(16) لم أقف عليه.

اللهم سلمنا وسلم منا ظاهرا وباطنا يا كريم، وارزقنا الإخلاص والإنابة إليك، وارحمنا ووالدينا وأشياخنا وإخواننا والمسلمين. آمين، والحمد لله رب العالمين.
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، آمين.

جمعها وكتبها الفقير إلى الله عبد الواحد الدكالي بن محمد بن محمد المغربي الطرابلسي الغذامسي.
عفا الله عنهم.آمين.

****

خاتمة

بعد دراسة هذه الرسالة توصل الباحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولا- النتائج:

1- دراسة تاريخ علماء بلادنا يتيح لنا معرفة مؤلفاتهم ومناهجهم وطرقهم في فهم كلام الله وإظهار معانيه، وأن بلادنا بها علماء أجلاء كغيرها من الأوطان.
2- اعتمد المؤلف على الكتاب والسنة وغيرهما من المصادر التي تؤيد رأيه.
3- من منهج المؤلف نسبة القول إلى قائله وذكر المصدر الذي ينقل منه.
4- معنى هونا الهوينا، وهما المشي برفق وسكينة مع الهيبة والوقار والتواضع، وهو صفة مشي النبي صلى الله عليه وسلم.
5- أظهر المؤلف حسن الأسلوب وأدب الحوار أثناء المناقشة في المسائل العلمية.
6- استعمل المؤلف العبارات والألفاظ التي تدل على تواضعه واحترام من يخالفه القول.

ثانيا- التوصيات:

1- مواصلة البحث والدراسة من أجل إبراز مؤلفات علماء ليبيا، ودراستها وتحقيقها والاهتمام بها ونشرها.
2- الاستمرار في عقد الملتقيات والمؤتمرات والأنشطة العلمية التي تبرز جهود علماء ليبيا ومكانتهم في مختلف العلوم الإسلامية.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم برواية قالون عن نافع.**

أولا- الكتب المطبوعة.

- أحمد بك النائب الأنصاري، (د.ت)، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، (د.ط).
- أحمد بن الحسين البيهقي، (1988)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الريان للتراث، ط1.
- أحمد بن عبد الله الأصفهاني، (1988)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
- أحمد بن محمد الفيومي، (1987) المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط).
- أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري، (1988)، حكم العطائية، مع شرح ابن عباد النفري الرندي، إعداد: محمد عبد المقصود هيكل، مراجعة: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الإهرام، القاهرة، ط1.
- جلال الدين السيوطي، (1967)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ط1.
- حمزة أبوفارس، (1988)، عبد الواحد الدكالي (حياته وبعض آثاره) ، مجلة الوثائق والمخطوطات، السنة الثالثة، العدد الثالث.
- عبد الحي بن العماد، (1986)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1.
- عبد السلام الأسمر الفيتوري، (1967)، الوصية الكبرى، ط1.
- عبد العظيم إبراهيم المطعني (1967) الهمزية في مدح خير البرية- صلى الله عليه وسلم- ، دار الأنصار، القاهرة، (د.ط).
- علي المتقي بن حسام الدين بن قاضي خان، (2005)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، اعتنى به: إسحاق الطيبي، بيت الأفكار الدولية، ط2.
- عمار جحيدر، (1992)، أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا واقعها وآفاق العمل حولها، كلية الآداب والتربية، زليطن، 1988م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. (د.ط).
- عمر رضا كحالة، (1993)، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.
- المبارك بن محمد الجزري، (1421هـ)، الذهاية في غريب الحديث والأثر، ، أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن بن علي الأثري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1.
- محمد بن أحمد الذهبي، (2003)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.
- محمد بن محمد مخلوف، (د.ت)، شجرة النور الزكية في

طبقات المالكية، محمد بن محمد بن مخلوف، دار الفكر (د.ط) .
- مختار الهادي بن يونس، (2009)، من تاريخ الثقافة في ليبيا، ، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1.
- ياقوت بن عبد الله الحموي، (1977)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ط).
- يوسف بن عبد الله بن عبد البر، (2002)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، دار الإعلام، عمان، ط1.

ثانيا- المخطوطات.
- محمد بن أحمد العزفي اللخمي، الدر المنظم في مولد النبي المعظم، المكتبة الظاهرية، رقم9461.

****